

محطة أخيرة

كان الزميل سمير قصير جريئاً فعلاً، لكن المجرمين الذين قتلوه اجراً منه بكثير. كان يتحدى مؤسسة أمنية وسياسية محددة قررت بالتخلص منه ان تتحدى العالم كله من دون استثناء.

لا يمكن المقارنة بين كل ما كتبه وما قاله وما فعله، وبين الاقدام على تصفيته في هذه اللحظة بالذات وبهذا الشكل الذي يوحي ان منفذي الجريمة لا يشعرون بأي قلق أو خوف أو اضطراب، من احتمال الملاحقة أو المطاردة أو حتى المحاكمة. قتل سمير في وضع النهار في عملية متقنة، دبرت ونفذت بعناية وهدوء وثقة عالية بالنفس، من دون أي اعتبار أو حساب للضجة التي يمكن ان تثيرها الجريمة في البلد، الذي لا يزال في حالة توتر جراء الجرائم الاخيرة المتلاحقة واهمها اغتيال الرئيس رفيق الحريري. ولعل الاستخفاف بتلك الحالة، والاستهزاء بالحكومة والمعارضة وبما بينهما، لا يقل فظاعة عن العمل نفسه.

قتل سمير فيما لا يزال رئيس لجنة التحقيق الدولية في جريمة اغتيال الحريري، القاضي الالماني ديتليف ميليس في بيروت يباشر المهمة التي كلف بها من قبل مجلس الامن. وليس من المستبعد ان يكون توقيت جريمة الامس اختير لهذا السبب، لكي يسمع المحقق الدولي بنفسه صوت الانفجار المروع في الاشرافية، فيستخلص العبر التي لا يمكن لاحد ان يخطئها.

قتل سمير فيما لا تزال سوريا في قفص الاتهام او على الاقل في دائرة الاشتباه، تخوض في مواجهة صعبة مع المجتمع الدولي الذي يضعها تحت الرقابة والحاسبة اليومية على كل خطوة من خطواتها الداخلية والخارجية، وقياس علاقاتها مع لبنان تحديداً بميزان بالغ الحساسية والدقة.

درجة التحدي عالية جداً، وخطيرة جداً، وهي توحى بان الجهة القائلة تود ان تنذر لبنان والاسرة الدولية التي تضعه تحت رعايتها وحمايتها النظرية على الاقل بأنها لا تزال قادرة وعازمة على ان تستكمل جدول اعمالها الخاص الذي بدأ في الصيف الماضي، حتى النهاية بغض النظر عن التحذيرات والعقوبات الاتية من الخارج وبغير النظر الى التظاهرات والبيانات الصادرة من الداخل.

والحساب الذي اجرته تلك الجهة بسيط جداً: بلغ المجتمع الدولي الحد الاقصى في ردوده على مسلسل الموت اللبناني الذي يسير في خط مستقيم، ولن يكون بإمكان العالم ان يرفع مستوى تدخله في لبنان او ان يغير اشكال ذلك التدخل، لان قدراته محدودة ومحصورة بمهمة المحقق الدولي التي تعرضت لأول تهديد جدي.

ثمة احتمال بسيط بالا يكون اغتيال سمير قصير تحدياً للمجتمع الدولي، بل مجرد عمل ناجم عن جهل بالجو المحيط بلبنان وسوريا. في هذه الحالة يصبح الخطر اكبر بكثير.